

وصايا أبي الحجا

وعى العقل يوما بعد أن كان هاجعا

ومن لي بوعي لا يقض المضاجعا

ومن لي بهمّ ألمعي إذا أتى

أتاك ولم يحمل° إليك المواجه

وعى العقل من إغفاءةٍ يعريّةٍ

فلما رأى وجه الحياة بلاقعا

تعاطى عقاير السؤال فلم يجد

دواء صداعٍ غير ذلك ناجعا

وساءل أين القوم؟ كيف تقوشت

صروح مساعيهم وكن فوارعا؟

تمثّلته في هدأة الليل ساهما

يكاد على الأطلال يجري المدامعا

فقلت له هوّن عليك أبا الحجا

أراك كما لو كنت نفسك باخعا

تعال معي في العمر نمرح ليلة

ونصطاد غزلان القلوب الرواتعا

تبسم مني العقل: يا عربي ما

فتئت على عادات قلبك مائعا

عواطفك الأولى سيصنع منك ما

من الأمم الماضين كن صوانعا

ولكن على سوق المعارف دلّني

لعل بها ما أشتهي من روائعا

سألت: وهل ترضى المعارف سلعة

على الرف؟ إن العلم ليس بضائعا!

رويدك قال العقل نصف موبّخ:

إذا لم تبع فكرا فما كنت بائعا؟

رويدك فالإنسان يزهد في الذي

أُتيح ولم يبرح بما بيع طامعا

وكان حصيِّفا في الحجاج كأنما

من الكلم المنطوق حاز الجوامعا

أبا الرأى قلت اركب أُنُقُلُّكَ بينما

تنبؤني، فانصح أُنْعِرُكَ المسامعا

وكنْتُ بلا صبرٍ كموسى وكان في

غرابته كالخضر معبداً ولاذعا

توازن على دراجة الشكّ قال لي

أراك بغير الشك لا شك واقعا

وحرّك بزيت البحث ساقيك، إنه

وقودك لو يوماً عدِمْتَ الدوافعا

عن الحكمة ابحت في النهار بشمعة

تضيئُها دهرا، وتُلفيك ضائعا

وإن فضولَ العقل أكرمُ طارقٍ

فأولم° له إن جاء بابك قارعا

فضولك يا موسى عصاك، بفضلته

حجارة هذا الكون بتن° نوابعا

وسبرك° أغوار الوجود هو الذي

به تقهر الماضي وتبقى مضارعا

تلذذ بما تجني من العلم ما استطع°

ت° إن حري العلم ما كان ماتعا

جوازك بين الناس عقلك، لا تكن

بعقلك مزهوا ولا متواضعا

وإن كنت تبغي من علاك مكانة

فلا العلم مجنيا ولا الصيت ذائعا

ولا تستهن° بالوقت أو تستخفّه°

سيُصبح° يومًا عقربُ الوقت لاسعا

على عطش التنقيب نابر، ولا تقل

رويتُ، تكنُ من خمرة الكشف كارعا

ودرّب على التجريب حدسك، ربما

غدوتَ كآينشتاينَ ذي الحدس بارعا

ولا تتبع إلا خيالك إنني

أراك ضريرا حين تصبح تابعا

وهل لصقور الفكر قنص طريدة

وأعينها مشكومة ببراقعا؟

وإن كنت ترجو الخلد فاسع وراءه

شبابًا، فلوثر كنح خُلد يافعا

إذا غيّر الإنسان ما في صميمه

فليس كثيرًا أن يغير واقعا

ولا تقتنعُ جدا بشيء فإنني

أعدُّ قناعات الرجال مصارعا

وأخطئ° كثيرا كي نصيب لعل° خل°

ف غيمك غيثًا ، أو لعل° مطالعا

*

قبضت على مخي بيسراي، ممسكا

بيميناي قلبا للذائد نازعا

أخلتهمما إسفنجتين؟ لأنني

عصرتُهما حتى بللتُ الأصابع

ولكنني لم أستطع قبضة على

ضميرٍ خلال الروح غار مُمانعا

إذا كنتَ ذا قلبٍ فقد عشتَ طامدًا

وإن كنتَ ذا عقلٍ فقد متَ° جائعا

وإن كنت من أهل الضمير فإنني

أراك غدا من سم سقراط جارعا

*

تنزل هنا يا عقل بين جماجم

مثقفة تغلي وبين أضرعا

هنا نخبة الرائيين أثمر زهرهم

وأثقل أسوار الحديقة يانعا

بأشعة تلهو بها الريح إذ سمت

على هضبات النور أو بملافا

تنزل هنا يا عقل واحصد بنشوة

من التمر والليمون ما كنت زارعا

ودُمّ واعيًا يا عقلُ وسَط رؤوسنا

عساك إلى إغفاءٍ لست راجعا

[للاستماع اضغط هنا](#)